ومنزلة في تأويله. . «قال» بكل جرأة وطمأنينة ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ تجهيلاً للملأ، وتثبيتاً أن ما راه الملك ليس من ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ وحتى لو كان منها فإن له تأويلاً يعرفه أهله ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أيها الملأ، دون «فأرسلني» إذ لم يكن هو من الملأ المخاطبين المطلوبين، فهو ساقي الملك وأنّى له أن يكون من الكهنة ورجال الحاشية.

وإنما يجرئه على ذلك رغم الملأ، حيث جرب يوسف من قبل فوجده عليماً بتأويل الرويّ صادقاً في الحق وحقاً في الصدق، وعلّه استفاد من يوسف - لأقل تقدير - إن لكل رؤيا تأويلاً مهما كان من أضغاث أحلام، وإلّا فكيف يورط نفسه فيما ورّط وأهل التأويل يقولون إن ليس لها تأويل؟! ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة، وهو عليّ فيما ترسلون، وبطبيعة الحال أرسلوه وبأمر الملك وتأكيده.

وقد تلمح ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ إنه ذكر الصديق بفضله وعلمه بتأويل الرؤيا عند ربه، وانه الذي أوّل رؤياهما فكان كما كان، إذا فمن ذا الذي يجرأ عند الملك ان يعارك الساقي: ما أنت والإنباء بما جهلنا، أو ما ليس له تأويل؟ ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم. . . فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسلوه إلى الصديق فأخذ يتلطف معه في هذه المواجهة وبعد أمة من السنين:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾:

هنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تصريحة منه ان الملأ كانوا يجهلون حق التأويل، مهما كانوا يعلمون ظاهراً منه يعرفه كل احد، أن هناك حادثة أليمة في أركان الملك تعم الرعية، وفي ذلك فضحهم أن رؤياه أضغاث أحلام، بل أنتم الأضغاث وأنتم الأحلام، وليس الملك ليرى أضغاث أحلام!. .

ثم ومما ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هو فضله وبراءته إذ سجنوه على جهالة

مدروسة من الحاشية الملكية، وبعكس ذلك خيانة امرأة العزيز والحاشية التي زجته في السجن.

فـ ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ في البداية، ثم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ في النهاية تأكيد وتشجيع كيلا يتمنّع يوسف من تأويل نكاية عليه، لماذا لم تذكرني عند ربك طول هذه الأمة فلبثت في السجن بضع سنين؟ ولكنه لم يلفظ بشطر كلمة حول القضية، مما يدل على نبوة مقامه وبراءته عما افتري عليه من نسيانه هو ذكر ربه، والتنديد عليه لماذا توسلت إلى عبد؟!، ولا شرط أن يخرجوه حتى يفتي في رؤيا الملك خلاف ما يروى بشأن الرسول ﷺ [١] وهو أحرى من يوسف، وتراه إذا كان على علم من علم يوسف تأويل هذه الرؤيا كسائر الرّئى فلماذا ﴿لَعَلِّيٓ أَرْجِعُ . . لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟ علّه لأنه ليس على علم برجوعه، فقد يموت في الطريق أو تقتله الحاشية قبل وصوله، وحتى إذا وصل فعلّهم لا يقبلون تأويله، أو برائته، ولا سيّما خيانة امرأة العزيز ونفس الحاشية.

ولأن المرجو هنا عظيم عظيم فقد يقاوم ما علّه ينقم منه: لماذا حرّج موقف الحاشية، لا سيما وأن الملك بجنبه ولو لم يأت بشيء إذ تكفيه محاولة لتأويل رؤياه! وهنا نراه بعدما يسمع الرؤيا يفتي للساقي ودون تمهل ولا شكاة ولا تطلّب نجاة بتوسل ثان:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

(١) في نور الثقلين ٣: ٤٣١ عن المجمع وروى عن النبي ﷺ أنه قال: لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني، ورواه مثله العياشي في تفسيره عن أبان عن محمد بن مسلم عنهما قالا إن رسول الله ﷺ قال: . . . أقول وليضرب عرض الحائط لمخالفته نص القرآن في يوسف فالرسول ﷺ أحرى!.

أتراه أفتى - فقط - تأويلاً لرؤيا الملك؟ كلّا! حيث حكم على ضوء تأويله بما حكم، صادراً عن مصدر القيادة العليا وهو في السجن بتهمة الخيانة، وهذه هي الفتوى الكاملة، وقد كان المستفتي ليكتفي بالبند الأوّل فإنه - فقط - تأويل رؤيا، ولكنه يزيده حكماً صالحاً لفتواه، ليأخذ بذلك أزمة قلوب الملك والحاشية ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ولأنها رؤيا الملك يأخذ «سبع بقرات سمان وسبع سنبلات خضر» مثالاً عن الحالة الاقتصادية الخصبة في جميع أنحاء المملكة، حيث البقرة تمثل وافر النعمة، وهي في رؤيا من يملك أمر الرعية، النعمة العامة الشاملة، ثم «سبع عجاف وسبعاً أخر سنبلات يابسات» مثالاً عن الحالة الشديدة الضيقة بعد الأولى.

و﴿دَأَبًا﴾ هو استمرار في الحركة الزراعية وتعب إذ يعنيهما لغوياً فهما معنيّان هنا معاً، وإلا لجيء بلفظه الخاص - استمراراً أو تعباً - وقد يؤيد جمعهما فتح عين الفعل اللامح للجريان والدوران: تزرعون سبع سنين متتالية سنة وسنوات، مما تنتج أخصب الزرع وأكثره عدّة وعدّة.

وهذه الفتوى الأولى بحكمه، فإن «تزرعون» خبر يعني الأمر ومن ثم فتوى الحكم ﴿... فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[1] فالكثير الذي لا يؤكل، بل يسرف أو يبذر أم يباع، ذلك الكثير ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ حفظاً عن السوس والمؤثرات الجوية أمّا هيه، ذخراً للسبع الشداد، و﴿تَأْكُلُونَ﴾ هنا، كـ ﴿تَزْرَعُونَ﴾ أمر بصيغة الإخبار، مما يحتّمه أكثر من صيغته، فعليكم في السبع الأولى الزراعة دأباً في مواصلة وتعب، وعليكم ألا تأكلوا مما حصدتم إلّا قليلاً فيه بلغة الحياة..

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٧.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

وإنها سبع لا زرع فيها والأكل نفس الأكل، وهن ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ زائداً عن الضرورة وهو ﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ عن الإسراف والتبذّر، عن الالتهام والتبعثر.

إلى هنا يتم تأويل الرؤيا سبعاً بسبع، ثم يزيد الصديق مما علمه ربه وأنبأه ما ليس في الرؤيا:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

ولكيلا تبقى لهم أية باقية من زمجرة السبع الشداد يخبرهم الصديق بذلك العام المغيث، بغيث السماء وغيث الأرض ومنه كلاءها، ولو كان - فقط - المطر لجيء بلفظه، والغيث المطر ليس غيثاً إلّا لأنه يغيث وينجي البائسين، أم أن ﴿يُغَاثُ﴾ من كلا: الغيث والغوث، فليس الغيث المطر والكلاء - فقط - بالذي يكشف الكرب ويمنع الجدب، إذ قد يوازيه برد قارص، أم برد كارث قبل نضوج الحرث أم عنده، أو ريح صرصر كارث، أو زلزال مارس، أماذا مما قد يساعده الغيث على الكارثة المزمجرة، والحادثة المدمرة.

فالقول إن فيضان النيل كان يكفيهم عن المطر، تقاوله السبع الشداد والنيل هي النيل، ثم هل للنيل أن تنال بفيضاناتها كل الخيرات وتنيل، وهناك كربات وصعوبات سماوية وأرضية لا تدفع إلّا أن يغاث الناس بغوث إلهي ضمن فيضان وغيث، لا سيما وان الفيضان نفسه ليس إلّا بالغيث الذي يمده من مجاريه عن بلاده.

﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ غيثاً وغوثاً ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الفواكه، مما يلمح إلى كثرتها لحد الإعصار بعد الإعسار، فلا يعني - فقط - يعصرون الخمر، بل

ولا يعنيه فيما يعنيه، إذ تجل ساحة النبوة أن ينبئ فيما ينبئ عما فيه شهوات النسناس بخمر تخمر الناس، وتبغض إله الناس! فإن لم يدل تأويله الرؤيا على نبوته وتسديده بالوحي، فليدل إنباءه بـ ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ فليس تمام السبع الشداد مما يدل عليه، إلّا عاماً غير شديد، كما قبل السبع الأولى، عام يكفي نفسه كتقدير معتاد، وأما أن ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ فزيادة لا تعلم إلّا بالوحي.

وهنا يحذف السياق ما يعلم من المساق أو هو غير ضروري في القصة، وينتقل إلى مشهد الملك وتأثره عن تعثّره في سجن الصديق، فلنسمع الملك كيف ينهاز إلى خلاصه بكل إخلاصه والتماسه:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾:

يا عظماه لذلك الصديق العظيم، يطلب إليه الملك ليخرج عن السجن ويدخل عليه فلا يستجيب، وطبعاً ما كان الإتيان به إشخاصاً لاستجواب يعود بعده إلى السجن، فإنه أمر قاطع لا مرد له ولا قبل أمامه، وإنما هو إحضار عن عفو وإغماض، فله أن يقبل وله ألا يقبل.

هنا نرى يوسف السجين وقد طال سجنه بضع سنين لا يستعجل إجابة الملك في الخروج، حتى يخرج قبله عن تهمة الخيانة، ويعلن متهموه برائته من الوشايات والمكائد التي أدخلوه السجن بظنتها.

فلو خرج من فوره لكان خارجاً عن طوره، متهماً في توسله بالساقي، وقد تبقى عليه وصمة الخيانة أن يظن بخروجه عفو الملك وإغماضه عما كان، بما ظهر منه الآن. ولكنه مسبوك بذلك الأدب الرائع، والسكينة والثقة والطمأنينة في قلبه البارع، فلا يعود عجولاً ولا معجلاً، تقديماً لخروجه عن سجن الروح في تهمة الخيانة، على سجن البدن، وإن بقي فيه بضعاً أخرى،

ذلك يوسف ولم يكن ممن دارت عليهم الرحى، فبأحرى إمام المرسلين وخاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين محمد ﷺ لو كان مكانه لكان أمتن منه وأمكن خلاف ما اختلق على ساحته من روايات[١] كما على أخيه الصديق!

وأياً كان رسول الملك، أهو الساقي الناجي وعله أنسب لكونه أرفق وبصاحبه أليق؟ أم هو رسول تنفيذي يكلّف بمثل هذا الشأن، لمكان قوله ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ﴾ دون «آتني به» فبطبيعة الحال ليس هذا الرسول إلا عظيماً من الحاشية يليق بهذه الرسالة، لا نعرفه من هو؟ ولا فائدة في أن نعرفه.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ وعرفه رسالته ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ لا «الملك» ولا «الرب» أو «ربنا» كما يقوله السجناء بغية الخلاص، وإنما ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ثم ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾ كأنه من قبلك نفسك، لا عني، ولأنه لا يجرأ الساقي وأضرابه على سئوال الملك من نفسه، اللهم إلّا رسول خاص، له اختصاص بالسّدة العليا، يتأيد أنه غير الساقي. ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

فانظر إلى ذلك السجين كيف يستجوب الملك والنسوة في مسألة واحدة، بكل حائطة واحتشام، حيث لا يذكر مراودة امراة العزيز، فإنما النسوة والنسوة فحسب، إذ كان أمرهن واضحاً في المملكة وضح النهار،

(١) كما في الدر المنثور ٤: ٢٣ عن أبي هريرة قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ...﴾ [يُوسُف: ٥٠] فقال: لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر! وفي أخرى عنه انه ﷺ قال: يرحم الله يوسف أن كان لذا أتاه لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً، وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: عجبت بصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفتى في الرؤيا وإن كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت من صبره وكرمه والله يغفر له أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب ولكنه أحب أن يكون له العذر! وعن الحسن عن النبي ﷺ قال: رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس لأسرعت الإجابة حين قال: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة!

وأمرها يظهر ضمن أمرهن كما ظهر، فبالهن وخطبهن ذريعة إلى خطبها وبالها، وهو لم يذكرها بسوء ولا إياهن إلّا قدر الضرورة التي هي مفتاح براءته: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ولسوف تعلمون في ذلك الاستجواب وعلّ من كيدهن أنهن لما يئسن عن مراودتها القين حبل التهمة الوقحة على عاتقه، في وشاية دائبة وجناية صارحة سارحة، لحد شككن الملك والعزيز في أمره!.

والبال هو الأمر العظيم والشأن الخطير، وهو للنسوة هنا أخطر من أيديهن وأعظم حيث نسينها لبالهن، وليس إلّا الشغف الهالك الحالك في حبه، لحد أنساهن أنفسهن فقطعن أيديهن، مكان الأكل والفاكهة التي بأيديهن.

فلما يعرف ذلك البال يعرف واقع الحال منهن ومن امرأة العزيز وكفاه ذلك السؤال ظهوراً لبراءته في الحال وبكل استعجال.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾:

والخطب هو جلل الأمر ومصابه، فالصديق يتغاضى عن مراودتهن احتشاماً حتى يصرح بها وبخطبهن الملك، ويصرخن ببراءته، مما يدل على أنه كان يعلمها من ذي قبل، أو استقصى قبل إحضارهن فعلمها، وهذه قضية الحال في كل استجواب ولا سيما بالنسبة للعظماء، ليكون المستجوب للحال على بينة من الأمر، والظروف المحيطة به قبل الخوض والانغمار فيه، فهنا لك يواجه النسوة على بينة من واقع المراودة وخطبهن فيها: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؟ أهو الذي أوقعكن في خطبكن ومراودته أم أنتن من أنفسكن؟

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ لا سوء المراودة، ولا سوء النظرة ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ﴾ امر يعلوه أو يظهر فيه ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ إلّا حسناً وجمالاً ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[١]! حقيقة ليست لتنكر أو تستر ولو من مثل هؤلاء النسوة المترفات المتجبرات الارستقراطيات اللاتي لا يحنّ إلى معروف ولا يقررن بمنكر فعلن.

وهنا لا تملك المراودة الأولى، الخائنة الأولى، لا تملك نفسها في جو المصارحة بين النسوة أن تختصه بالتهمة فتتقدم النسوة في مصارحة المراودة ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ظهوراً لا يحتمل أي خفاء ولا يتحمل، مهما تحمله من ذي قبل بما حمّلناه ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ شهادة ناصعة دون أية ريبة ولا شائبة، يقال حصحص البعير في بروكه إذا تمكن واستقر في الأرض، وكأن اشتقاقه من الحصة حيث بانت حصة الحق عن حصة الباطل بكل تمكن واستقرار، ولا تبالي الشاهدة هنا أن تشهد له على نفسها، مستهينة ما وراءها مما يلم بها نفسها، ومن ناحية أخرى هي طبيعة الحال في الأوساط النسائية في المترفين، لحد قد يتفاخرن بتلك المراودات إذا كان المراود معترفاً بلياقته وصلوحه للمراودة، حيث التحلل والتميّع وحيونة السعار الجنسي المرتدي ثياب الارستقراطية، لها مقاييس في الحياة غير ما للشعوب المحطّمة المظلومة.

ولقد تمت هنا الشهادة من الملك والنسوة وامرأة العزيز على براءة الصديق ويراعته، وقد شهد العزيز في أول وهلة: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢] فهل كان هنا غائباً عن المشهد أم ميتاً ولذلك لم يشهد، أما ذا؟ القدر المعلوم انقطاع خبره منذ الوهلة حتى آخر القصة وقد كانت في

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

شهادته الأولى كفاية، إضافة إلى شاهد من أهلها وشهادة القميص أمن ذا ممن قد مضى؟ والتوراة على تحرّفها شاهدة لصدقة مهما اختلف التعبير أو تهافت في بعض المواضيع[1].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾:

أترى من هو القائل ﴿لِيَعْلَمَ . . . وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾؟ هل هي امرأة العزيز؟ فمن هو الذي لم تخنه؟ أهو العزيز وقد خانته في مراودات واهتمامات

(١) فإلى تتمة الإصحاح ٤١ من سفر التكوين الذي أوردناه من ذي قبل. . . وسأل الساقي أن يذكره عند فرعون لعله يخرج من السجن لكن الشيطان أنساه ذلك «أقول: «لكن» هنا يؤيد ما أيدناه بالأدلة السبعة «ثم بعد سنتين رأى فرعون في منامه سبع بقرات سمان حسنة المنظر خرجت من نهر وسبع بقرات مهزولة قبيحة المنظر وقفت على الشاطئ فأكلت المهازيل السمان فاستيقظ فرعون ثم نام فرأى سبع سنابل خضر حسنة سمينة وسبع سنابل رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها فأكلت الرقيقة السمينة فهال فرعون ذلك وجمع سحرة مصر وحكماءها وقص عليهم رؤياه فعجزوا عن تعبيره وعند ذلك اذّكر رئيس السقاة يوسف فذكره لفرعون وذكره ما شاهده من عجيب تعبيره للمنام فأمر فرعون بإحضاره فلما أدخل عليه كلمه واستفتاه فيما رآه في منامه مرة بعد أخرى فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد قد أخبر الله فرعون بما هو صانع: البقرات السبع الحسنة في سبع سنين وسنابل سبع الحسنة في سبع سنين هو حلم واحد، والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وارءها هي سبع سنين والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية يكون سبع سنين جوعاً.
هو الأمر الذي كلمت به فرعون قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيماً في كلّ أرض مصر ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً فينسى كلّ السبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض ولا يعرف السبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديداً جداً، وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلان الأمر مقرر من عند الله والله مسرع لصنعه.
فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر يفعل فرعون فيوكل نظاراً على الأرض، ويأخذ خمس غله أرض مصر في سبع سنين الشبع فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحا تحت يد فرعون طعاماً في المدن ويحفظونه فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر فلا تنقرض، الأرض بالجوع. . .

بالغيب وكما صرحت بصدق الصديق في خيانتها وبراءته! أم هو يوسف؟ وقد خانته في الحضور والغيب، حيث احتالت عليه حتى أدخلته السجن بتهمة الخيانة! ثم ولم تكن موحدة حتى تقول: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ أو تقول ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ ثم وما برّئت نفسها إلّا ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ وقد فضحت بشهادة الشاهد من أهلها، وإنما برّئت نفس يوسف في مشهد النسوة مرتين، فلم تكن في موقف التبرئة لنفسها حتى تنفيها عن نفسها! ثم وماذا تعني - إذاً - من ذلك؟ أتعني أن ذلك الاعتراف ببراءة الصديق وخيانتها ليعلم أو يعلم العزيز أنها لم تخنه بالغيب؟ وهو اعتراف منها بخيانتهما بالغيب! اللّهم إلّا في ذلك الغيب الأخير بمشهد الملك وغياب يوسف! ولم تكن امرأة العزيز بالتي لا تخون يوسف وقد خانت العزيز! ولا أن علم الصديق بعدم خيانتها إياه بالغيب يهمها لحدّ تفضح له نفسها أمام النسوة والملك أم والعزيز!.

إنها - دون ريب - من كلام يوسف إجابة عن سؤال مقدر، لماذا لم تحضر عند الملك فور إحضاره، وطائل السجن كان يؤكد التهمة عليك فضلاً عن مزيده؟ فيجيب، ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فلو خرجت دون استجواب النسوة لظلت تهمة الخيانة عليّ لزاماً، وهو استبقاء في سجن التهمة، فسواء أخرجت أم بقيت إلّا أن تحصل هذه الحصحصة في حقي أمام الجماهير، فيعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب.

أتراه لم يعلم أنه لم يخنه بالغيب وهو القائل لدى الباب بعد شاهد من أهلها ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾؟

أجل إنه أخذ يعلم ولكنها بدلته من بعد علم جهلاً، كما هددت الصديق مراراً وتكراراً ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ وهكذا يأخذ مكائد النساء بأزمة قلوب الرجال، فقد فعلت وافتعلت حتى دفعته أن